

دراسة أثرية للضريح الملكي الموريطاني بتيبازة

أ.د. مسعود حميان

الأستاذة: شريفة أصفصاف

جامعة المدية

الملخص:

الضريح الملكي الموريطاني مبنى جنازي ، تابع إداريا إلى ولاية تيبازة، يقع على رأس ربوة تعلو سطح البحر بمقدار 261 م، و القبر ذو شكل أسطواني يتوضع على قاعدة مربعة و يعلوه مخروط مدرج، الارتفاع الإجمالي للضريح حوالي 33م إلا أنه قد يصل إلى 40م عند بنائه، كما نجد في الجزء الأسطواني أربعة أبواب وهمية مقابلة للجهات الأربعة و قد زين ب 60 عمود من الطراز الأيوني، أما الباب الحقيقي فنجدة على مستوى القاعدة، وقد استخدم لبناء الضريح حجارة جيرية ضخمة.

الكلمات المفتاحية: ضريح، قبر، تيبازة

Résumé :

Le mausolée royal de Maurétanie est un monument funéraire situé à la wilaya de Tipaza. IL domine une crête de 261 mètres d'altitude ; le mausolée a une forme cylindrique coiffé d'un cône à gradins et posé sur un socle carré : la hauteur actuelle du monument est de 33 mètres environ, mais l'édifice devait atteindre 40 mètres à sa construction. Le cylindre est décoré de 60 colonnes engagées , d'ordre ionique et aux quatre points cardinaux se dressaient de fausses portes , l'entrée se trouve à l'est sous la fausse porte, dans le soubassement , le mausolée est construit en belles pierres de taille en calcaire , de grandes démentions .

مقدمة:

تزخر الجزائر بإرث ثقافي متنوع يرجع إلى مختلف الحضارات التي مرت بها المنطقة، فبدءا من فترة ما قبل التاريخ التي تميزت خاصة بمختلف مواقع الفن الصخري، إلى الفترة القديمة التي جسدها مختلف المدن الأثرية كتييمقاد و تيبازة، ومن ثم العصر الإسلامي و ما تميز به من فنون و غيرها من الحضارات التي تركت بصمتها على أرض الجزائر ، و بالتمعن في مخلفات الشعوب نجد أن الإنسان قد اهتم منذ القديم ببناء

قبوره ما يدل على إيمانه بوجود حياه ثانية بعد الموت وخاصة أن الموتى غالبا ما كانوا يدفنون مع أثاث جنائزي معتبر.

و يعتبر الضريح الملكي الموريطاني أحد هذه القبور التي شيدت في حوالي القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد و الذي يرجع بنائه حسب أغلب المؤرخين إلى الملك يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سليني، رغم وجود اختلاف في الآراء في هذا الشأن.

و نهتم في هذه الدراسة بالتعريف بهذا المعلم التاريخي الذي يعتبر من الأقطاب السياحية الهامة بالجزائر و نقدم لمحة شاملة عن الضريح من الجانب التاريخي وكذا دراسة معمارية و وصفية له، و هذا بالإطلاع على مختلف المصادر و المراجع التي عالجت الموضوع و كذا دراسة ميدانية بالتنقل إلى الموقع والتعرف على الضريح عن قرب ومعاينته حتى نتعرف على حالة الحفظ التي آل إليها الآن نتيجة عوامل التلف المختلفة.

1- الموقع الجغرافي للضريح:

يقع الضريح الملكي الموريطاني في ولاية تيبازة على بعد 1,5 كلم شمال بلدية سيدي راشد، و حوالي 15 كلم جنوب شرق تيبازة، يعلو قمة جبلية تنتهي إلى سلسلة جبال الساحل التي تفصل سهل متيجة عن البحر، على ارتفاع 261م فوق سطح البحر، فهو بهذا يحتل موقعا استراتيجيا هاما حيث يمكن رؤيته من كامل الجهة الجنوبية لسهل متيجة، و على طول الخليج الذي يمتد بين جبل شنوة و أعالي بوزريعة، حيث يهددي به الصيادون في تنقلاتهم البحرية¹.

2- تاريخ الأبحاث و الترميمات السابقة:

1-2- الدراسات و الأبحاث السابقة:

لقد تساءل الناس كثيرا، في شتى الأزمنة، حول حقيقة هذا الأثر التاريخي، ولغاية اليوم لا يزال يحتفظ بسرّه .

النص القديم الأول الذي وصل إلينا عن هذا الضريح يعود لمؤلف لاتيني يدعى بومبنيوس ميلا (Pomponius Mila) في كتابه De situ orbi يرجع تأليفه إلى حوالي 40 سنة بعد الميلاد ، أي إلى عهد إستيلاء الرومان على مملكة موريطانيا و تحويلها إلى ولاية رومانية، بحيث يقول بومبنيوس ميلا في الفصل السادس (ورقة 30) من كتابه : "يول

¹ رابح، لحسن، أضرحة الملوك النوميدي و المور: دراسة أثرية و تاريخية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميدي و المورية المشيدة منذ القرن الرابع ق.م، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص102.

(شرشال) على شاطئ البحر، مدينة كانت قديما مجهولة و أصبحت الآن مشهورة، بما كانت عاصمة الملك يوبا ، و باسم قيصرية الذي تدعى به، و يليها، من هنا، بلدتا كرطينا (تنس) و أرسناريا و قصر كوزيا، ثم خليج لاتوروس، ونهر سردابال، و من هنا الضريح العام للأسرة الملكية، ثم إكوزيوم¹.

و لقد أجريت منذ زمن طويل، أبحاث أثرية بدأت بشكل فردي، ثم أخذت طابعا رسميا، كما صدرت كتب عديدة حول الضريح الملكي و سواء أكانت تأليف خيالية أو أبحاث علمية فإنها كلها تحاول كشف القناع عن سره، حيث تحدث عنه الجغرافي العربي البكري في كتاب المسالك و الممالك².

بعد هذا لم يرد في النصوص التاريخية و الأدبية ذكر هذا الضريح، و كان لا بد من الانتظار حتى بداية القرن السادس عشر، و هي الفترة التي شهدت احتدام الصراع بين الأتراك العثمانيين و الإسبان حول النفوذ في الحوض الغربي للمتوسط، أين نجد إشارة عابرة له جاءت في رسالة بعث بها أمير تنس سنة 1516م إلى حليفه الجنرال الإسباني كاستيلان (Castillan) بمناسبة الحملة العسكرية التي كان ينوي الحاكم الإسباني ديوغو (Diego) القيام بها ضد الجزائر، و تقول الرسالة: "... إن الموقع الواجب الإستيلاء عليه يمتد من وادي شلف إلى قبر الرومية..."³

و في نفس الفترة نجد عند مارمول (Marmol) وصف للضريح الموريطاني ، حيث يقول في مذكرته المدونة سنة 1573م : "...هذا عبارة عن قبة مرتفعة جدا يسميه العرب قبر الرومية أي قبر روماني ، أما المسيحيين الذين لا يحسنون النطق بالعربية يسمونه كابا رومية (Caba Romia) و يقولون أسطوريا أن بداخله دفنت لاكافا (La Cava) بنت الكونت الإسباني ، تبدو هذه القبة عالية حيث نرى من على قممها سهل متيجة على بعد 17 فرسخا (وحدة قياس قديمة وتقدر ب 4 كلم تقريبا)، بني بحجارة كبيرة و مغلق من كل الجهات ، و في سنة 1555م أراد صالح رايس باشا الجزائر تحطيمه معتقدا في وجود كنوز بداخله ، غير أن العمال المسيحيين (العبيد) لم يتمكنوا من مواصلة العمل ، إذ سرعان ما برزت من المعلم زنابير سوداء كبيرة وشديدة اللدغ ، من تمكنت منه قضت عليه ، مما وضع حدا لهذه المحاولة"

¹ منير، بوشناق، الضريح الملكي الموريطاني، تعريب عبد الحميد حاجيات، الجزائر ، 1979م، ص 16

² منير ، بوشناق ، مرجع سبق ذكره ، ص 09

³ رايح، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 104

بعد مارمول بحوالي قرنين من الزمن أشار الرحالة الإنجليزي د. توماس شاو إلى هذا الضريح ، حيث يقول: "قبر الرومية أي قبر روماني أو قبر المرأة المسيحية، يقع في منطقة جبلية على الساحل على بعد 7 أميال جنوب تفساد (تيبازا)، وحسب الاكتشافات المتأخرة فهو معلم متماسك مبني بالحجر المنحوت الجيد، إرتفاعه حوالي 20 قدما. إن شكل هذا البناء و ما قيل عنه أنه بني فوق كنز جعل الأتراك يسمونه مالتا باسي Maltapasy، أو كنز خبز السكر يفتقد إلى قمته وعدة أقسام منه بسبب أعمال الحفر التي قام بها الباحثون ، لكن مع ذلك يبقى إرتفاعه كافيا لأن يكون معلما يهتدي به البحارة ... بالنظر إلى جمال البناء و المواد المستعملة فيه فإن هذا المعلم سابق للغزوات الإسلامية، و إنه الضريح الذي يجعله ميلا بين إيول وإيكوزيوم و الذي يعد قبر عائلة الملوك النوميديين ..."¹

2-2- التنقيبات الأثرية والترميمات السابقة :

من الواضح أن ضخامة الضريح ووقوعه في قمة جبلية مرتفعة و معزولة جعلت الناس عبر الأزمنة ينسجون حوله أساطير عجيبة، تضمنت في مجملها الحديث عن وجود كنوز و أشياء ثمينة مدفونة بداخله يصعب العثور عليها، وهو ما يفسر الأنفاق التي حفرت أسفل البناء منذ زمن بعيد.²

و قد ذاعت هذه الأساطير بين الناس، إلى حد أن الأتراك الحاكمين للبلاد ، كانوا على علم بها، و قد أقدم الباشا صالح رايس سنة 1555م على تدمير هذا الضريح العتيق، عساه يجد في أنقاضه الكنوز التي كان يتحدث عنها الخاص والعام، واستعمل المدفع لذلك فلم يصل إلى أكثر من إلحاق بعض الأضرار بالباب الوهمي بالجهة الشرقية.

و في القرن الثامن عشر أمر الداوي بابا محمد بإجراء حفريات قصد البحث عن الكنوز، و يحكى أن العمال الذين استخدمهم لذلك لم يستطيعوا متابعة عملهم إذ طردتهم براغيث كبيرة، و تذكر مصادر أخرى أن أمال الداوي لم تتحقق و أن العمال لم يعودوا إلا بقطع الرصاص التي تصل بين الحجارة.³

الحفريات المنظمة الأولى أجريت تحت إشراف أدريان بربروجير Berbrugger من سنة 1855م إلى 1866م، على نفقة الإمبراطور نابليون الثالث و كان بربروجير آنذاك مفتشا

¹ نفسه ، ص 104، 105

² رايح، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 105

³ منير، بوشناق، مرجع سبق ذكره، ص 11

عاما للآثار التاريخية و المتاحف الأثرية بالجزائر، حيث يرجع له الفضل في اكتشاف المبنى الأمامي، المدخل الرئيسي و المدفن القبوي، لقد وجد هذا القبو فارغا من كل أثاث جنائزي، بل على العكس تبدو آثار النهب واضحة من خلال الأبواب الزلاقة التي تعرضت كلها للكسر.¹

و في الفترة الممتدة ما بين 1912م إلى 1950م أجرى كل من بالو (Ballu) وكريستوفل (Christofle) أعمال ترميم هامة شملت واجهة الجدار الخارجي والمخروط المدرج، و على هامش هذه الأشغال قام هذا الأخير بدراسة هامة شملت مختلف عناصره المعمارية وأشكاله الهندسية، و قد جرت أعمال الترميم التي قام بها هذان المهندسان على مرحلتين : الأولى تمتد من 1912م إلى 1918م تم تكريسها لرفع الأنقاض عن محيط القبر وداخله، والثانية من 1918م إلى 1950م و تم تخصيصها للبناء و الترميم، ويمكن تلخيص نتائج هذه الأشغال كالآتي :

- البحث عن الأحجار المناسبة للترميم، فقد فقد العديد من أحجاره، ومن المحتمل أنها نقلت إلى وجهات بعيدة أو استعملت لأغراض نفعية من طرف السكان المجاورين.
- إعادة تشكيل التكسية الخارجية لا سيما الجهة الشرقية، أين تم ترميم الباب الوهمي الشرقي، وإعادة بناء الأعمدة مع تيجانها.
- إعادة بناء بعض الأجزاء من المدرجات.
- غلق الحفر والشقوق الكبيرة.
- تنظيف المساحة المحيطة بالضريح، بإزالة الركام الحجري، و إنجاز طريق يربط هذا المعلم بالأمكن العمرانية القريبة.
- إخلاء القبو الداخلي من الأحجار التي كان يعج بها، ثم الشروع في ترميم جدرانه وسقفه المتضررين.²

3-تأريخ الضريح:

من الصعب تحديد زمن بناء الضريح و من بناه، فالقبر لا يحمل أي نقش يثبت تاريخه و لا يمكن الإعتماد على العلامات المنقوشة على الصخور لإيجاد دلالة تاريخية، وذلك أن تلك العلامات ترمز إلى معامل الحجارة المنحوتة فقط، إذ كان لكل ناحته

¹ راجع، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 106

² راجع، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 121، 122

حجارة علامة خاصة به ، و بعض تلك العلامات يقرب رسمها من الحروف اللاتينية أو الليبية أو اليونانية، إلا أنها لا تمت إلى الحروف الهجائية بأي صلة، والصورة رقم (01) تمثل إحدى هذه العلامات التي لازالت واضحة على حجارة الضريح .

صورة رقم (01): علامات معامل
الحجارة- الواجهة الشمالية
عن: ش. أصفاف



النظرية التاريخية التي يميل إليها أكثر الناس هي التي تنسب بناء الضريح إلى الملك يوبا الثاني و زوجته كليوباترا سيليني بنت كليوباترا الشهيرة ملكة مصر وأنطونيو، واتفق المؤرخون على اعتبار يوبا الثاني ملكا مثقفا ذا تذوق للفنون، حيث جلب إلى عاصمته شرشال تحفا فنية اقتناها من بلاد اليونان ، و قد حكم موريطانيا مدة طويلة من سنة 25ق.م إلى سنة 23م¹.

و قد قام قبريال كامبس بتأريخ الضريح باستعمال الكربون المشع، و قد استعمل لذلك مشبك من الخشب تم استخراجة أثناء عمليات الترميم التي أجريت طرف كريستوفل والده، و قد كانت النتيجة بإرجاع الضريح لسنة 270م، لكن لم يكن يعلم من أي جزء من المعلم استخراج المشبك فربما يكون من المبنى الأمامي الذي يحتمل أنه أحدث من الأجزاء الأخرى للضريح، كما يمكن أن يكون المشبك قد وضع أثناء عمليات الصيانة خلال القرن الثالث للميلاد².

¹ منير، بوشناق، مرجع سبق ذكره، ص 17، 16

² Libyca, tome 2 Camps, Gabriel, « note de protohistoire nord-africaine et saharienne », dans : XVIII, Alger, 1970, p 237

وقد شذ عن الجميع المؤرخ المشهور رومانيلي Romanelli الذي يرى أن القبر بني في عهد متأخر أي في القرن الخامس أو السادس للميلاد، و هو يعتقد أنه شيد على منوال الضريح المستدير الذي بناه الإمبراطور هادريان في روما¹.
لا شك أن بناء الضريح الملكي الموريطاني كان قبل العصر الروماني و يمكن إرجاعه إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد².

4- أصل التسمية:

أطلق على هذا القبر عدة تسميات منها: الضريح الملكي الموريطاني، قبر كليوباترا سليني، قبر المسيحية، قبر الرومية³ وكذا قبر يوبا الثاني⁴.
لقد ذكر الجغرافي الإسباني بومبنيوس ميلا هذا الضريح باسم "القبر المشترك للعائلة الملكية" و المقصود بها قبر الملوك الموريطانيين حيث دفن فيه الملك يوبا الثاني و زوجته كليوباترا سليني و ربما وضعت توابيت أخرى للملوك الموريطانيين، و تذكر المراجع أن كليوباترا سليني كانت تعبد الآلهة ، حيث يسر لها يوبا الثاني القيام بعبادات أسلافها ، لدرجة أنها كانت تحس نفسها في بلادها غير ، إلى أن وافتها المنية ، وبعد موتها أبى يوبا إلا أن تمنح التقاليد المصرية في المدفن و رونق الدفن، فإنها ماتت قبل زوجها و لذلك استطاع أن يهبأ لها وسائل الدفن الفرعونية فأعد لها ذلك القبر⁵.
و نتيجة للنقش البارز الموجود على الأبواب الوهمية الذي يترأى منه رسم شبيه بالصليب جعل بعض الباحثين يعتقدون أنه مبنى مسيحي استنادا على ذلك الرسم الوارد على شكل صليب ، كما توضحه الصورة رقم (02) ، و بهذا أطلقوا عليه اسم قبر الرومية، وهذا خطأ فهذا المبنى لا يمت بأي صلة إلى المسيحية ، فإذا كان الناس يدعونه

¹ منير، بوشناق، مرجع سبق ذكره، ص 17

²Camps, Gabriel, aux origines de la berbérie monuments et rites funéraires protohistoriques ; Paris, 1961, p p 204, 205

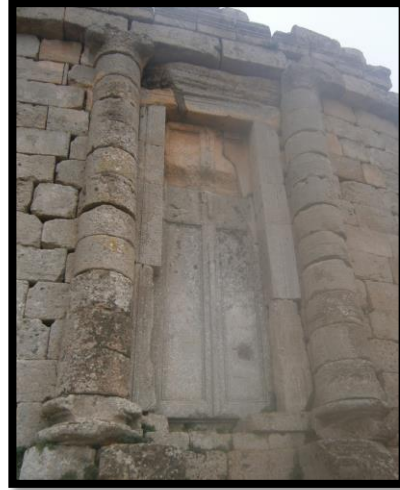
³Jean-Marie Blas De Roblès, Claude Sintès, Sites et monuments antiques de l'Algérie, France , 2003 , p 73

⁴Henry, Pamart, « étude sur le MADRACEN (tombeau de Syphax) et le KEBEUR ROUMIA (tombeau de la chrétienne) , dans : revue Africaine , n° 61 ; Alger , 1920 , p280

⁵عبد الحميد، بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني و زوجته كليوباترة سليني، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1981م، ص 74-77

بهذا الاسم فقد يفسر هذا نسبة إلى مدلول مفردة "الرومي" عند العرب و التي تعني "البيزنطي" أو "الروماني"¹.

صورة رقم (02): النقش البارز على
الأبواب الوهمية في الضريح الملكي
الموريطني
عن : ش. أصفصاف



و يرى جوداس « Judas » من جهته أن كلمة "رومية" تعني في اللغة الفينيقية والليبية "ملكي" وقد كان هذا المصطلح متداولاً في لغة العرب من قبل و يعرفون مدلوله وبالتالي أنسبوا هذه التسمية "قبر الرومية" للضريح²

5- الدراسة الوصفية للضريح :

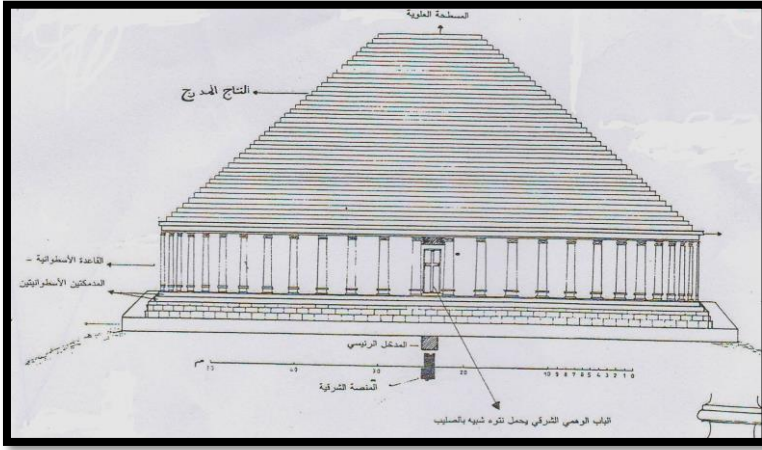
لقد أثبتت الدراسات الأثرية أن هذا الضريح عبارة عن بازينا كبيرة ذات القاعدة الأسطوانية، مغطاة بكساء من الحجر المنحوت المحكم البناء، حيث يشبه شكلها الخارجي بازينات فجر التاريخ³، يمكننا تقسيم البناء إلى قسمين رئيسيين هما : القسم الخارجي والقسم الداخلي.

¹ منير، بوشناق، مرجع سبق ذكره، ص 8,9

²Christofle, Marcel, le tombeau da la chrétienne, Paris, 1951, p41

³ Camps, Gabriel, aux origines de la bérébérie monuments et rites funéraires protohistoriques, op.cit, p202, 203

5-1- القسم الخارجي : يحتوي على أربعة أجزاء أساسية : القاعدة ، الجزء الأسطواني ، الهرم المدرج والمبنى الأمامي و الشكل العام للضريح ممثل في الشكل رقم (01) الذي يمثل إعادة تشكيل الضريح الملكي الموريطاني.



شكل رقم 1: إعادة تشكيل الضريح الملكي الموريطاني
عن : رابح ، لحسن ، أضرحة الملوك النوميدي و المور ، ص 347

أ-القاعدة:

شكلها مربع ، يبلغ طول الضلع الواحد 63,40 م ، وقد بنيت هذه القاعدة المبلطة فوق حجرية تتألف من حصباء صغيرة موصولة بنوع من الملاط مصنوع من تراب المنطقة، تتشكل هذه القاعدة من 06 مداмик من الحجر المنحوت : إثنان مدفونين تحت الأرض فوقهما مدامكين آخرين فقدوا كلياً زواياهما في فترة غير معروفة، بعدها وضع مدامك خامس أسطواني الشكل غائر عن المدامك الرابع بحوالي 0,04م ولإنهاء القاعدة وضع مدامك سادس أسطواني هو الآخر وغائر عن المدامك الذي يسبقه ب 0,495م ويعتبر هذا المدامك بمثابة القاعدة التي وضع عليها الجزء الأسطواني ، واعتمادا

على مقاييس هذه المداميك يبلغ ارتفاع القاعدة السفلى التي تبدأ من سطح الأرض إلى أسفل الأعمدة ب 2,52 م¹.

ب- الجزء الأسطواني:

يتكون هذا الجزء من 13 مدماك مبني بالحجر المنحوت ، و هذه المداميك تغطي حشوا داخليا مبني بالحجر المربع² ، محيط دائرته يقدر ب 185,50 م وقطرها 60,90 م، و قد زين هذا الجزء ب 60 عمود من الطراز الأيوني تحمل إفريزا، من مميزات هذه الأعمدة أنها مزودة في قاعدتها بقولبين طوقيين مستديرين تدعى قواعد اتيكية، و هي كثيرة في رسوم الأنصاب الفينيقية للقرنين الثالث و الثاني قبل الميلاد³ ، أما عن التيجان فهي كذلك من الطراز الأيوني القديم وهي على نوعان : النوع الأول نجده يعلو 52 عمودا مزين من الأسفل بعقد مورد يضم من 4 إلى 8 ورقات تتوج الزهرة ، و يحمل في الأعلى زخرف يشبه حلزونتين تربط بينهما قناة تلتوي في الوسط نحو الأسفل، التيجان الثمانية الباقية هي التي تعلو الأعمدة التي تؤطر الأبواب الوهمية الأربعة تحمل مثل النوع الأول زخرفين، وردي في الأسفل و حلزوني في الأعلى إلا أنه يتميز عنه باستقامة القناة التي تربط الحلزونتين و زخرفه الشبيه بسعف النخيل⁴.

و فوق التيجان يمتد الكورنيش الذي يتشكل من مدامكين بارزين عن الكتلة الأسطوانية ، السفلي أملس أما العلوي فيحمل نتوء في أعلاه لا يتجاوز 0,105 م و على هاذين المدامكين ترتكز الدرجة الأولى من المخروط المدرج⁵.

و يمتاز هذا الجزء بأربعة أبواب وهمية مقابلة للجهات الأربعة نحتت من الحجر الكلسي الصديفي الصلب، تحتوي على نقش بارز شبيه بالصليب⁶ ، يصل ارتفاع هذه الأبواب إلى 6,90 م غير أنه لم يبق من هذه الأبواب إلا الباب الشرقي الذي يرجع الفضل في ترميمه إلى كريستوفل، أما الأبواب الشمالية و الغربية فقد فقدت إطارها ولم يبق

¹Christofle, Marcel, op.cit, p 15

² راجع، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 108

³ منير، بوشناق، مرجع سبق ذكره، ص 08

⁴Christofle, Marcel, op.cit, p 21

راجع، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 109⁵

⁶Christofle, Marcel, op.cit, p 21, 22

منها إلا الصفائح السفلى ، بينما الباب الجنوبي فلا نعلم ما هي الحالة التي وجده فيه باربروجير بعدما شق نفقا أسفله باتجاه الدهليز المستدير¹.

ج- الهرم المدرج :

يتشكل من 37 درج ، ارتفاع كل منها 0,58 م ، و مبنية بالحجر المنحوت و ينتهي في قمته بمسطحة.

د- المبنى الأمامي:

يتواجد في الجهة الشرقية من القبر ، و على مسافة 3,37 م من أمام المدخل الرئيسي ، و هو عبارة عن أثار مسطحة واسعة مبلطة يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 7,75 م وعرضها 2,70 م ، أشار إلى وجوده لأول مرة بربروجير سنة 1865 م ، و لم يبق منها اليوم إلا القاعدة المبلطة و بعض الأحجار التي تشكل المداميك السفلى لجدران البناء ، إن مثل هذه المنصات معروفة كثيرا في المعالم الجنائزية القديمة ، حيث نصادفها أيضا في الأضرحة الكبرى مثل المدغاسن بباتنة و الجدار بتيارت ، و لا شك أن دوره لا يعدو أن يكون إلا جنائزيا ، و من المحتمل جدا أن له علاقة وطيدة مع إقامة مراسيم دفن الأموات أو الإحتفالات الدينية ، وبناء على هذا لا يستبعد أن يكون قد استعمل كمذبح ، أو عرض القرايين أو كأرضية لاستقبال المرمدة أو جثة الميت في انتظار تهيئة باب المدخل الرئيسي². و فيما يلي ملخص لمقاسات الضريح الملكي الموريطاني المقدمة من طرف هنري بامار والتي نشرت في المجلة الإفريقية لسنة 1920 م :

طول ضلع القاعدة.....	63,94 م
ارتفاع القاعدة	1,59 م
قطر الجزء الأسطواني.....	61,06 م
قطر الضريح عل مستوى الكرنيش.....	63,08 م
ارتفاع الأبواب الوهمية.....	5,25 م
ارتفاع الأعمدة (من القاعدة إلى التاج).....	6,76 م
قطر جذع العمود (من الأعلى).....	0,73 م
قطر جذع العمود (في الأسفل)	0,77 م

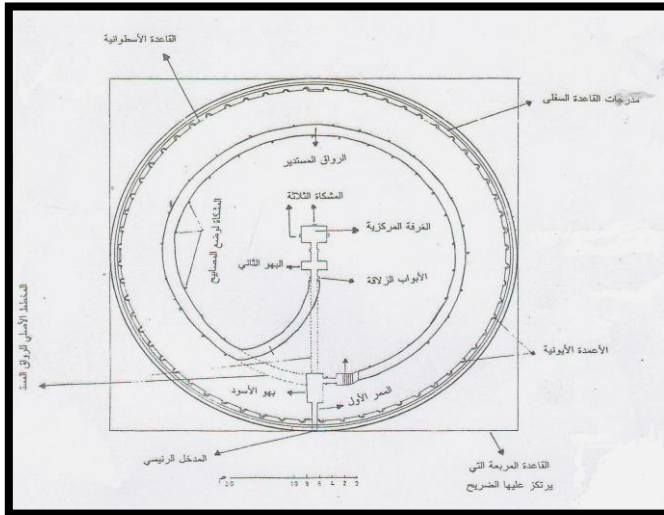
¹ رابح ، لحسن ، مرجع سبق ذكره ، ص 110

² نفسه ، ص 111

المسافة بين الأعمدة (من المحور إلى المحور).....3,176م
 إرتفاع المعلم 30,14م
 بالنسبة للقياس الأخير (الإرتفاع الإجمالي للمعلم) فهو غير مؤكد إذ يحتمل أن تكون
 هناك بعض المداميك المفقودة.¹

2-5- القسم الداخلي:

يتكون من المدخل الرئيسي، الممرات، البهاوي، الرواق المستدير و الغرفة
 الجنائزية كما هو موضح في الشكل رقم (02).



شكل رقم (02): مخطط القسم الداخلي للضريح
 عن : رابح ، لحسن ، أضرحة الملوك النوميدي و الموري، ص347

أ-المدخل الرئيسي:

يقع هذا المدخل أسفل الباب الوهمي الشرقي ، وقد وجده بربروجير في 5 ماي
 1866م² وقد كان مغلقا بواسطة صخرتين من الحجر المنحوت متساويتا الأبعاد

¹ Henry Pamart, « étude sur le MADRACEN (tombeau de Syphax) et le KEBEUR ROUMIA(tombeau de la chrétienne) , dans : revue Africaine , op.cit, p285

²Christoffe,Marcel, op.cit, p24

وموضوعة الواحدة تلوى الأخرى ، بحيث لا تتميز عن الجدار الخارجي إلا بفواصلهما التي أقيمت بشكل متطابق و ليس متعاكس مثل باقي أحجار البناء ، و على الرغم من هذا لا يمكن التعرف عليهما إلا بتدقيق النظر في تنضيد الفواصل¹.

ب- الممر الأول وبهو الأسود :

بعد المدخل الرئيسي نجد ممر ضيق و منخفض عرضه 0,83 م ، ارتفاعه 1,25 م وطوله 4,85 م و مغلق من كلا الطرفين ببلاطين سمك الواحدة حوالي 0,14 م، يصل هذا الممر إلى البهو الأول الذي يسمى "بهو الأسود" ، و هو موجه من الشرق نحو الغرب طوله 5,33 م ، ارتفاعه 3,20 م و عرضه 2,52 م أرضيته مبلطة بحجارة منحوتة مستطيلة و سقفها مقبب ، و قد سمي ببهو الأسود نسبة إلى الزخرفة النائنة التي تمثل أسد و لبؤة فوق عتبة هذا البهو ، ولعل القدماء كانوا يعمدون إلى هذه الحيوانات بمهمة حراسة الضريح و تكثر هذه الصور في آثار الشرق الأدنى القديمة².

في الجهة المقابلة للمدخل في آخر البهو، أي في الجدار الذي يمثل عرض البهو نجد آثار تدل على حفرة عشوائية في فترة غير معروفة، أين تم حفر نفق يتجه إلى مركز الضريح، طوله حوالي 6,50 م³.

ج- الممر الثاني والرواق المستدير :

بعد بهو الأسود نجد ممر عرضه 0,84 م و طوله لا يتجاوز 2,08 م ، أما ارتفاعه فيبلغ 1,235 م إلى 0,54 م ينتهي بسلم من 7 درجات ، بعد صعود هذه الأدراج نصل إلى الرواق المستدير الذي يبلغ طوله أكثر من 140 م و عرضه 2,05 م و ارتفاعه 2,40 م أرضيته مبلطة مثل البهو الأول بحجارة منحوتة غير متساوية الأبعاد فواصلها موجهة شمال- جنوب وشرق-غرب و سقفه مقبب ، و لعله كان يضاء بمصابيح كانت توضع في 51 مشكاة منحوتة في الحائط تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة 3 أمتار ، نجد 26 منها على الجدار الأيمن و 25 فقط من الجدار الأيسر نظرا لوجود حفرة في مكان تواجد المشكاة المفقودة، تدل آثار الدخان الذي يظهر فوق بعضها على وجهتها الحقيقية إذ من المحتمل

¹ رابح، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 112

² منير، بوشناق، مرجع سبق ذكره ، ص 12

³Christoffle, Marcel , op.cit, p 24 ,29

جدا أنها كانت تحمل مصابيح صغيرة لإنارة الرواق وهذا أثناء إقامة مراسيم دفن الميت أو الإحتفالات الدينية¹.

وقد بني هذا الرواق على السطح المربع الذي يحمل القبر كله، بينما يقع بهو الأسود في طبقة سفلى ، أما الرواق فهو ذو شكل مستدير ، ويدور من الجهة اليمنى نحو اليسرى ، ليرسم دائرة تكاد تكون تامة ، حيث يبتدئ من الباب الشرقي ثم يمر من الأبواب الوهمية الشمالية والغربية والجنوبية، وبعده يتجه نحو مركز البناء حيث يصل إلى باب موجه نحو الشرق².

أما كامبس فيرى أن التحول الذي طرأ على استدارة الرواق ربما يكون قد تزامن مع بناء الضريح ، بدليل أن آثار المخطط الأول لازالت مرسومة بداخله وهي تؤكد استدارة الرواق حول الغرفة المركزية³.

د-البهو الثاني والغرفة الجنائزية :

ينتهي الرواق المستدير إلى ممر ثالث عرضه 1م ، طوله 2,02م وارتفاعه 1,25م يؤدي إلى غرفة مستطيلة موجهة شمال جنوب عرضها 1,51م ، طولها 4,04م وارتفاعها 2,73م بنيت جدرانها وأرضيتها بالحجر المنحوت وهيئ سقفها على شكل قوس نصف دائري ، بعدها نجتاز ممرا رابعا وأخيرا عرضه 1,01م ، طوله 3,50م وارتفاعه 1,25م يؤدي إلى غرفة أخيرة مستطيلة موجهة شمال جنوب طولها 4,04م وعرضها 3,06م وارتفاعها 3,43م ، في وسط كل الجدران الثلاثة للغرفة: شمال ، غرب و جنوب نحتت على ارتفاع 1,50م مشكاة مقوسة ارتفاعها 0,41م و عرضها 0,26م وعمقها يقدر بـ 0,25م⁴.

أما مادة البناء المستعملة في بناء الضريح الملكي الموريطاني فتذكر المراجع أن بناؤو الضريح استعملوا نوعان رئيسيان من الحجر هما :

- الكلس الصديفي الصلب الذي استخدم في بناء الجدران
- الفليس (Tuf) الذي استعمل لحشو الضريح

رايج، لحسن، مرجع سبق ذكره، ص 114¹

² منير، بوشناق ، مرجع سبق ذكره ، ص 13

³ Camps, Gabriel, op. cit, p 203

⁴ Christoffe, Marcel, op .cit, p29

و يوجد هذان النوعان بكثرة في المناطق المجاورة ، أين تكثر المقالع الحجرية في جبل شنوة و المرتفع الساحلي و الهضاب المحاذية له ، أهمها في بيرار التي تبعد ب 6 كلم عن الموقع ، و عين الغيران التي لا تبعد عن الضريح إلا ب 1500 م غربا¹.

6-التأثيرات الأجنبية على الضريح :

تشيد هذا النوع من الأضرحة يرجع إلى أصول هندسية خاصة بشمال إفريقيا ، إلا أننا نلاحظ زيادة على ذلك في الضريح الملكي نوعا من التفنن في الهندسة و النقوش والزخرف يشهد على تأثيرات خارجية ، حيث يذكر منير بوشناق في كتابها المعنون بالضريح الملكي الموريطني ، أن السيد سلامة قد قارن شكل زخرف الأبواب الوهمية بشكل زخرف نصب فينيقي بدلس وهذا يبعثنا إلى ضرورة الرجوع إلى الآثار الفينيقية لفهم بعض الظواهر الزخرفية للمبنى ، أما تيجان الأعمدة في القبر ، فهي تمت إلى تاج العمود الأيوني الإغريقي (القرن الرابع قبل الميلاد) بحيث تحتوي على حلزونتين متصلتين بواسطة قناة ، تحتهما عقد ورود ، أما قواعد الأعمدة التي تحتوي على قلوبين طوقيين مستديرين فتسمى "قواعد أتيكية" و هي كثيرة في رسوم الأنصاب الفينيقية للقرنين الثالث و الثاني قبل الميلاد².

الخاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه نلاحظ أن الضريح الملكي الموريطني لا يزال شاهدا على الحضارات القديمة التي مرت بمنطقة تيبازا ، و يبين عادات و تقاليد وطقوس الدفن عند سكان المنطقة في تلك الفترات ، رغم قلة المعلومات في هذا الشأن نظرا لتعرض الضريح إلى عمليات نهب منذ زمن طويل من طرف الباحثين عن الكنوز ولا تزال آثار هذه الأنفاق ماثلة للعيان إلى يومنا هذا ، و يعد هذا المعلم التاريخي مقصدا سياحيا من داخل أو خارج الوطن ، لما يتميز به من ضخامة في البناء و تأثير عناصره المعمارية بحضارات مختلفة كالحضارة الإغريقية و ذلك يظهر من خلال استعمال الأعمدة الأيونية في الجزء الأسطواني من الضريح ، وبهذا يجب التعريف بهذا الإرث الثقافي بمختلف وسائل الإعلام ، فالإعلام يلعب دورا هاما في تحفيز و تنشيط السياحة الثقافية ، و التعريف بتراث بلادنا.

¹ نفسه، ص 107

² منير ، بوشناق ، مرجع سبق ذكره ، ص 20، 19.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- رابح، لحسن، أضرحة الملوك النوميد و المور: دراسة أثرية و تاريخية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميدية و المورية المشيدة منذ القرن الرابع ق.م ، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 2- عبد الحميد، بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني و زوجته كليوباترة سليتي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1981م.
- 3- منير بوشناق، الضريح الملكي الموريطاني، تعريب عبد الحميد حاجيات، الجزائر 1979
- 4- Camps, Gabriel, « note de protohistoire nord-africaine et saharienne », dans : Libyca , tome XVIII , Alger, 1970.
- 5- Camps, Gabriel, aux origines de la bérubérie monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, 1961.
- 6- Christoffe, Marcel, le tombeau da la chrétienne, Paris, 1951
- 7- Henry Pamart, « étude sur le MADRACEN (tombeau de Syphax) et le KEBEUR ROUMIA(tombeau de la chrétienne), dans : revue Africaine , n° 61 , Alger , 1920
- 8- Jean-Marie Blas De Roblès, Claude Sintès, Sites et monuments antiques de l'Algérie, France, 2003.